مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية
ISSN:2716-8131

المجلد الأول العدد الثاني
أكتوبر 2020

حاجي خليفة ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال مؤلفيه " فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار" و"تحفة الكبار في أسفار البحار"

Haji khalifa and his method in writing history through his authors « The sayings of the good are in the science of history and news »and « The masterpiece of the great sea travels is the adult »

فاطمة الزهراء رحماني[1*]، محمد دراج [2]

[1] ط. د، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، fat.histoiremoderne@gmail.com

[2]د، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، derradj2010@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/20 تاريخ القبول: 2020 /09/10 تاريخ النشر: 2021 /01/05

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الخصائص المنهجية التي اتسمت بها كتابات العالم العثماني حاجي خليفة التاريخية، وبالأخص كتابيه" فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار" و"تحفة الكبار في أسفار البحار"؛ لما لهما من أهمية بالغة في دراسة التاريخ العثماني، حيث يمكن للعديد من الباحثين والمؤرخين المختصين في هذا المجال الإستضاءة بهما في دراساتهم وأبحاثهم. فهما يؤرخان للسلاطين العثمانيين وسياساتهم الداخلية والخارجية، وللبحرية العثمانية ونشاطها في البحر الأبيض المتوسط، فضلا عن المعلومات القيمة والمفيدة حول علم التاريخ وأهميته للعامة والخاصة.

الكلمات المفتاحية: حاجي خليفة؛ التاريخ العثماني؛ الكتابة التاريخية.

Abstract

The study aims to highlight the methodological characteristics of the Ottoman literature of Haji Khalifa, particularly its writers, « The sayings of the good are in the science of history and news », « The masterpiece of the great sea travels is the adult », because of their writings are of great importance in the study of ottoman history, where many researchers and historians in the field can benefit from them in their studies and research. They are dated to the Ottoman sultans, their internal and external policies, and the Ottoman Navy and its Mediterranean activity, as well as valuable and useful information about the science of history and its importance to the public and private.

Keywords : Haji Khalifa ; Ottoman history ;historical writing.

مقدمة

ظلّت الكتابة التاريخية عند العثمانيين منذ نشأة الدولة العثمانية مرتبطة بخدمة السلاطين، إذ انصبت حول تمجيد بطولاتهم وإنجازاتهم في حروبهم وفتوحاتهم، دون أن يتم إخضاع تلك المآثر للعملية النقدية التي يجب أن تكون شرطا من شروط المؤرخ، وهذا ما جعل تلك الكتابات تكاد تكون بعيدة عن التعبير عن الحقيقة التاريخية الدقيقة. لكن ابتداء من القرن 17م برز نوع جديد من الكتابة التاريخية، استندت في أساسها على النقد التاريخي البناء الذي يبحث في تفسير الحادثة التاريخية وتحليلها من أجل الوصول إلى الحقيقة. ليس هذا وحسب؛ بل وإيجاد الحلول والعلاج للأزمات التي تعرّضت لها الدولة.

وفي ظل هذا السياق؛ يعدّ حاجي خليفة أحد أشهر المؤرخين العثمانيين الذين صنّفوا ضمن الشخصيات العلمية اللامعة التي اهتمت بالدراسات التاريخية النقدية. ولم يكتف بالتاريخ فقط؛ بل صال وجال في الجغرافيا والبحار والمحيطات والخرائط، وفي الفكر الإصلاحي الذي درس فيه عن المشاكل والأزمات ثم حللّها وناقشها ثم اقترح حلولا لها، وفي العلوم والفنون التي جمع فيها كل أصناف الكتب العلمية والأدبية والتاريخية وغيرها ليضعها في موسوعة مثلت في يومنا هذا بيبليوغرافيا عامة للباحثين والدارسين في مجالات متنوعة.

زيادة على ذلك؛ فإنّ حاجي خليفة في تآليفه اعتمد على أمهات المصادر التاريخية العثمانية والعربية والفارسية المعروفة عند العامة والموثوقة بها عند الخاصة، موظفا ما استقاه منها باللغة العربية والفارسية إلى جانب لغته الأم العثمانية. أضف إلى ذلك؛ أنّه كان بنفسه يمثل مصدرا للتاريخ العثماني في القرن 17م كونه عايش أحداثه ووقائعه الإيجابية والسلبية.

نتيجة لهذه السمات والصفات التي قلّما نجدها مجتمعة في شخص واحد؛ فإنّ كتابات حاجي خليفة كسبت قدرا كبيرا من الاهتمام والعناية الخاصة، ليس في الوسط العثماني فحسب بل في الأوساط العربية والأوروبية. ولا سيما كتابيه "فذلكة أقوال الاخيار في علم التاريخ والأخبار" الذي ألّفه باللغة العربية و"تحفة الكبار في أسفار البحار" الذي ألّفه باللغة العثمانية.

وبناء على ذلك؛ جاءت هذه الدراسة موسومة بعنوان: " **حاجي خليفة ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال مؤلفيه" فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار" و"تحفة الكبار في أسفار البحار"**، والذي سنحاول من خلاله تسليط الضوء على العالم العثماني والمؤرخ الكبير "حاجي خليفة" ومدى إسهاماته في الكتابة التاريخية العثمانية، من خلال التركيز على كتابيه "فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار" و"تحفة

الكبار في أسفار البحار"، مع محاولة استقصاء مدى تفاعل "حاجي خليفة" مع التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الدولة العثمانية خلال القرن 17م، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي التحليلي الذي يقوم على جمع المعلومات حول الظاهرة التاريخية ومناقشتها وتحليلها، ومن ثم استخلاص النتائج.

1. التعريف بشخصية حاجي خليفة

1.1 مولده ونشأته:

هو العلامة مصطفى بن عبد الله، ولد في استانبول سنة 1609م وتوفي بها سنة 1657م. اشتهر بين العلماء باسم "**حاجي خليفة**"، وبين أهل الديوان فاشتهر باسم "**كاتب جلبي**" [(1)]. اشتهر حاجي خليفة بكاتب جلبي لأنّه كان يعمل كاتبا في الدفاتر السلطانية في الجيش العثماني مابين سنتي (1614_ 1626م)، وجلبي بالتركية تعني: الفاضل أو الكامل أو السباق، أي أن كاتب جلبي تعني الكاتب الفاضل. أما سبب شهرته بحاجي خليفة أيضا، فيعود إلى أدائه فريضة الحج حينما كان مقيما بمدينة حلب ضمن البعثة العسكرية التي خرجت مع الجيش العثماني فيما بين سنتي (1620_ 1622م)، وزيدت شهرته بخليفة لارتباط هذا اللقب بمن يشتغل معاونا أو وكيلا في إدارة مالية أو كتاب الإنشاء[(2)].

حفظ **حاجي خليفة** القرآن الكريم وتعلّم أصول التجويد عندما بلغ عمره الخامسة أو السادسة، ثم درس عدّة علوم على يد كبار علماء الدولة العثمانية، فقد درس علم التصريف والعوامل على يد إلياس خوجة، كما درس علم الخط على يد الخطاط بوكرو أحمد جلبي. أضف إلى ذلك؛ التحاق حاجي خليفة بدروس العالم قاضي زاده أفندي، إذ قرأ عليه التفسير وإحياء علوم الدين وشرح المواقع والدرر والطريقة المحمدية[(3)]. كما حضر دروس عالم العصر صاحب الفضائل الشيخ الأعرج مصطفى أفندي، إلى جانب الدروس العامة التي كان يلقبها الشيخ كجي محمد أفندي في جامع آيا صوفيا والسليمانية[(4)].

التحق **حاجي خليفة** في سن الرابعة عشر من عمره بوالده في الديوان، ليصبح بذلك مساعدا في قلم محاسبات الاناضول أحد أقلام الديوان، الأمر الذي سمح له بتعلم قواعد الحساب وخط السياقة والأرقام[(5)]. بعد ذلك خدم حاجي خليفة في الجيش العثماني منذ أن كان عمره 14 عاما، حيث تولى عدّة مناصب عسكرية وإدارية، وشارك في العديد من الحملات العسكرية في مناطق مختلفة من العراق ضد الصفويين في

السنوات التالية (1626، 1630، 1635م). كما اشترك في قمع حركات التمرد التي اندلعت في أرضروم وديار بكر سنة 1628م[6].

بعد أن أتم **حاجي خليفة** خدمته في الجيش، كرس حياته للعلم، واشترى بكل الأموال التي ورثها كتبا، وبدأ في تدوين أسماء الكتب التي رآها في حوانيت الكتب عندما كان في حلب، وكان لحاجي خليفة شغفا زائدا بكتب التاريخ والتراجم والطبقات، فأتم قراءاتها كلها، بالإضافة إلى قراءته لكتب الطب والجغرافيا وغيرها. الأمر الذي جعلّه يؤلف العديد من المؤلفات، وترجمة بعض المؤلفات اللاتينية الى اللغة التركية[7].

حظي **حاجي خليفة** باهتمام العلماء المسلمين مبعثه ذلك الأثر البيبليوغرافي الذي حرره باللسان العربي، فقد رفع مكانته علماء الغرب لأسباب عديدة، حتى وصفه بعضهم بأنه "**سيوطى العثمانيين**"، وترجموا العديد من آثاره إلى عدد من اللغات الأوروبية. بالإضافة إلى وصفه بأنه "**خاتم المتقدمين**" و"**رئيس المتأخرين**"، نظرا لإحاطته بالعلوم الشرقية وبالفنون الغربية. كما اعتبر ممثلا للفكر التركي الحر في القرن 17م، وأول من حاول هدم الحواجز بين العلوم الغربية والعلوم الشرقية، فكان في طليعة من بدأوا عملية الاتصال العميق بالعلوم الغربية في الدولة العثمانية[8].

لقد كان لعدم تمكن **حاجي خليفة** من الدراسة في مدارس الدولة الرسمية، دور مؤثر في مخالفته لمواقف علماء عصره الرسميين حول كثير من القضايا حيث راح ينقد آرائهم بكل جرأة، كما كان لإطلاعه على أوضاع الدولة المتردية في الداخل وعلى جبهات القتال أثر واضح في نقد أحوالها. فكانت التي ألفها ترجمة صريحة لتوجهه النقدي سواء للأفكار التي يتبناها العلماء الرسميين أو للأوضاع العامة للدولة[9].

2.1 أوضاع الدولة العثمانية خلال القرن 17م وتأثيرها في شخصية حاجي خليفة

لا شك أنّ شخصية حاجي خليفة تأثرت بعوامل كثيرة في مقدمتها الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة العثمانية لا سيما تلك المتعلقة بالقرن 17م، ذلك أنّ هذه الحقبة شهدت مرحلة المخاض العثماني من القوة إلى الضعف. فبعد الإنجازات والانتصارات التي حققها السلاطين العثمانيون الأوائل من السلطان عثمان الاول إلى السلطان سليمان القانوني، بدأت الدولة العثمانية ابتداء من القرن المشار إليه سابقا تسير تدريجيا نحو التدهور والانحطاط.

ولعلّ أولى مظاهر ذلك ضعف شخصية السلاطين العثمانيين الذين تولوا الحكم بعد وفاة السلطان سليمان القانوني. حيث كان هؤلاء يفتقرون إلى الخبرة السياسية، الأمر الذي جعلهم يعتمدون في إدارة شؤون الحكم على الصدور العظام وأغوات الإنكشارية الذين كانوا أحيانا مثالا للفساد وسوء العمل والتسيير[10]. وكان لتولي العرش العثماني سلاطين صغار السن مثل أحمد الأول (1603- 1617م) وعثمان الثاني (1618- 1622م) في سن الرابعة عشر، ومراد الرابع (1623- 1640م) في سن الثانية عشر، ومحمد الرابع (1648- 1687م) في سن السابعة عشر، فرصة سانحة لتدخل تلك الفئات في الشؤون العامة من أجل تحقيق مصالحهم ومآربهم الخاصة، كما عملوا على الإطاحة بالكثير من رجال الدولة إذا رفضوا تنفيذ رغباتهم وسارعوا الى جمع الثروات الطائلة[11].

زيادة على ما سبق؛ أخذ السلاطين الذين تولوا حكم الدولة العثمانية بعد السلطان سليمان القانوني ينساقون وراء مظاهر الترف والبذخ واللهو، فصاروا يفضلون السكن في قصور أكثر رفاهية بدل مساكنهم القديمة، ومن السلاطين من كان أسيرا لتلك القصور منعزلا عن العالم الخارجي، وبالتالي منعزلا عن شؤون السلطة وحركة المجتمع[12].

وكان من نتائج ضعف شخصية السلاطين؛ أن دب الفساد في صفوف الانكشارية خاصة بعد أن امتنع السلطان العثماني عن قيادة جيشه في المعارك الحربية، بالإضافة إلى السماح لهذه الفئة بالزواج. فصار الانضمام إلى هذه الفرق وراثيا ولا يلق أي اعتبار للكفاية والقدرة والخبرة العسكرية. ليس هذا وحسب؛ بل تضاءلت أيضا قدرات قوات الانكشارية في ميادين القتال ولم تعد كسابق عهدها، إلى حد أن الدولة أخذت تعتمد على قوات من بلاد القرم ومناطق أخرى[13].

علاوة على ذلك؛ أخذت العديد من فرق الإنكشارية في التمرد ضد الدولة[14]، فسيطروا على مقدرات الدولة والمجتمع وفرضوا شروطهم وابتزازهم والتفرد بالسلطة وعدم الانصياع للأوامر. كما أظهروا في كثير من الاحيان عدم الانضباط، ومارسوا أعمال النهب والهروب من الخدمة. وقد أسهمت الهزائم المتتالية التي تعرّضت لها الجيوش العثمانية في المعارك الحربية التي خاضتها الدولة ضد الجيوش الأوروبية في زيادة سخط الانكشارية على الحكومة والتدخل في شؤونها من خلال التحكم بمناصب الدولة التي خضعت لرغباتهم الخاصة، وبفعل

تفشي مظاهر الفساد في تلك المؤسسة أصبحت الانكشارية قوة ترهب وبصورة متكررة سلاطين الدولة وتفرض إرادتها بشكل كبير[15].

وقد وصل تمرد فرق الانكشارية إلى درجة قتل بعض السلاطين مثلما فعلوا مع السلطان ابراهيم (1640-1648م)، كما قاموا بعزل بعضهم الآخر مثلما حدث مع السلطان مصطفى الثاني (1695- 1703م) الذي أجبروه على التنازل عن العرش. هذا وقد كانوا سببا رئيسيا في هزيمة الدولة في بعض معاركها مثلما حدث في عهد السلطان سليمان الثاني (1687- 1691م) حيث مني الجيش العثماني بهزيمة قاسية أمام قوات النمسا والمجر في عام 1687م وخسارة الدولة الكثير من ممتلكاتها في أوروبا[16]. وتوالت التمردات في صفوف الانكشارية الى أن تم القضاء عليهم من قبل السلطان محمود الثاني سنة 1826م[17].

من زاوية أخرى؛ كان للتوسع العثماني شرقا وغربا آثار سلبية انعكست على العلاقة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية. إذ اختل ميزان القوى ــ خلال القرن 17م ــ بين الطرفين وانتقلت زمام المبادرة الى الجانب الاوروبي بعد أن كانت في يد الطرف العثماني. ذلك لأنّ الأوروبيين خلال هذه الحقبة استعادوا نشاطهم وتحالفهم، وقرّروا التخلي عن صراعاتهم الداخلية، وتصويب هدفهم نحو القضاء على الدولة العثمانية التي أصبحت تهدد مصالحهم عندما وصلت بفتوحاتها إلى فيينا العاصمة النمساوية. ونتيجة لذلك؛ تمكن التحالف الأوروبي المكون من الجيوش المساوية والمجرية والروسية من صد الهجوم العثماني الثاني على فيينا سنة 1683م، ليندفع النمساويون في أعقاب ذلك ويحتلوا مناطق عثمانية في المجر واليونان، وعلى سواحل البحر الأسود، وهزموا العثمانيين في معركة موهاج الثانية سنة 1687م، ثم في معركة زنتا عام 1697م[18] . وتتوقف بذلك حركة الفتوحات العثمانية في أوروبا التي بقدر ما كانت تمثل مصدر قوة عظمى للدولة العثمانية، شكلت خطرا وتهديدا بل ورعبا للأوروبيين.

وقد كانت معاهدة كارلوفيتز التي تم توقيعها بين السلاطين العثمانيين وآل هابسبورغ سنة 1699م التي وصفت على أنّها أول تفكيك لأوصال الدولة العثمانية، وكانت المرة الاولى التي يوقع فيها العثمانيون الصلح كمنهزمين وتخلوا بموجبها عن مناطق سيطروا عليها منذ مدة طويلة. فبموجبها تم تنازل هذه الأخيرة عن أراضي المجر وإقليم ترانسلفانيا للنمسا، ومدينة آزوف لروسيا، وشبه جزيرة المورة للبندقية[19]. ثم تلتها معاهدة كوجك قينارجة سنة 1774م الموقعة بين الدولة العثمانية وروسيا، والتي أعلنت صراحة عن فقدان الدولة العثمانية لمركزها كقوة دولية عظمى، إذ فقدت بموجبها السيطرة على البحر الأسود والتنازل عن أراضي شاسعة بين نهري الدنيبر

والباغ لصالح روسيا[20]. كما فتحت هذه المعاهدة الأبواب أمام الأوروبيين للتدخل في شؤونها الداخلية وتحديد مصيرها وهذا ما عرف بالمسألة الشرقية[21].

عموما فإنّ التغييرات التي حدثت في الدولة العثمانية وصراعاتها الداخلية والخارجية أثرت بشكل كبير على حاجي خليفة؛ فقد عايش وقائع تلك المرحلة وتفاعل معها. فحاول من خلال كتاباته البحث في أصول وعوامل ذلك الضعف والانحطاط الذي دب في أوصال الدولة العثمانية، خاصة وأنّ هذه الأخيرة ظلت منذ تأسيسها وإلى غاية القرن 16م تتميز برقي وازدهار لاسيما في المجال السياسي والعسكري.

ومما ساعد حاجي خليفة في طرح أفكاره هو ما أصبح عليه الوضع الثقافي في الدولة العثمانية خاصة فيما يتعلق بالكتابة التاريخية خلال القرن 17م. حيث أصبح المؤرخون العثمانيون يهتمون بدراسة مشاكل الدولة العثمانية والأزمات التي تعرّضت عليها، ومحاولة تفسيرها وتحليلها واقتراح الحلول لمعالجتها[22]، بعد أن كان ممن سبقهم مقلّدا في التأليف التاريخي بشكل عام لما نقله عن غيره من المؤرخين، حيث تكاد مؤلفاتهم مقتصرة على أخبار السلاطين والفتوحات والأمراء وأخبار العزل والتولية والتراجم، مع طغيان الطابع القصصي والأسطوري والعسكري عليها، مع غياب النقد التاريخي[23].

3.1 آثاره العلمية

ترك **حاجي خليفة** وراءه العديد من المؤلفات لعلّ أبرزها [24]:

1. **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار، المعروف اختصارا بفذلكة التواريخ**، وهو كتاب في التاريخ العام منذ ظهور الخليقة حتى سنة 1641م، ألّفه حاجي خليفة باللغة العربية ثم ترجم إلى اللغة التركية.
2. **تقويم التواريخ**: وهو عبارة عن جداول مرتبة ترتيبا زمنيا ألّفه حاجي خليفة سنة 1648م، وهو يبدأ بالخليقة حتى عام 1648م.
3. **فذلكة كاتب جلبي**: ويطلق عليها اسم الفذلكة التركية تمييزا عن الفذلكة العربية، وتعتبر ذيلا ل فذلكة التواريخ، وترجمة مفصلة للوقائع المعاصرة منها. وهي عبارة عن سجل للوقائع صنف على حسب السنوات، وفي نهاية كل سنة يذكر ملخصا عن رجال الدولة الذين توفوا في تلك السنة والعلماء والشعراء المشهورين وأعمالهم[25].

4. **تحفة الكبار في أسفار البحار**: كتاب تطرق فيه الى المعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل البحرية في مختلف البحار في مطلع القرن 16 و17م حتى سنة 1656م.
5. **ترجمة تاريخ إفرنجي**: نشر في باريس من طرف جون كاريون سنة 1548م. الكتاب مرتب على طريقة الحوليات، ترجمه كاتب جلبي بمساعدة المهتدي الفرنسي محمد إخلاصي.
6. **إرشاد الحيران إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى**: كتاب يتناول تاريخ الدول الأوروبية.
7. **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**: كتاب في الطبقات مرتب على حروف المعجم، ألّفه كاتب جلبي باللغة العربية، ويتكون من قسمين رئيسيين: الأول: تناول فيه الأعلام المشهورين بأسمائهم. وأما القسم الثاني: فقد خصصه للمشهورين بأنسابهم وكناهم وألقابهم.
8. **جهانومة**: كتاب في الجغرافيا، حيث تضمن معلومات مهمة عن الخصائص الجغرافية والاجتماعية للمجتمعات التي قام بدراستها حاجي خليفة.
9. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: موسوعة باللغة العربية تناول فيه كاتب جلبي التعريف بالمؤلفات العربية منذ عصر ابن النديم مؤلف كتاب الفهرست حتى عصره.
10. **دستور العمل في إصلاح الخلل**: رسالة مهمة في الإصلاح الإداري والسياسي، رفعها حاجي خليفة سنة 1653م إلى السلطان محمد الرابع (1648_ 1687م)، حيث تضمنت عرضا موثقا لأسباب تدهور النواحي المالية والعسكرية والإدارية في الدولة العثمانية، بالإضافة إلى الحلول التي اقترحها الكاتب لإزالة تلك الأسباب ومعالجتها[26].

2. التعريف بـ"فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار" و"تحفة الكبار في أسفار البحار"

1.2 محتويات فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار

يعتبر هذا الأثر أول محاولات **حاجي خليفة** في التأليف، أطلق عليه في المقدمة اسم "فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والاخبار"، وقد سمي اختصارا "بفذلكة التواريخ". وأما تاريخ تأليفه فقد صرح كاتب جلبي بأنّه أتّمه في أواخر ربيع الآخر من عام 1052هـ / 1642م. وأما موضوعه فقد أورد فيه مؤلفه أهم الأحداث التي تخص التاريخ الإسلامي منذ بدء الخليقة حتى سنة 1049هـ/ 1639م[27]. وقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وإلى ثلاثة أصول وخاتمة[28]:

المقدمة فقد قسمها الى أربعة فصول في كل فصل منها تحدث عن معنى التاريخ وموضوعه وأهميته وفائدته، وأهم المؤلفات التاريخية، مرتبا إياه على حروف المعجم. وختم ذلك بالحديث عن قواعد لا يسع المؤرخ جهلها.

الأصل الأول؛ يشتمل على قسمين: الأول يضم ثلاثة فصول؛ جاء فيها سرد للوقائع منذ الخليقة بدءا بآدم عليه السلام، مرورا بالأنبياء، وانتهاءا بخاتم الأنبياء ومن بعده الخلفاء الراشدين. أما القسم الثاني: فيضم هو الآخر ثلاثة فصول؛ جاء فيها ذكر لأهم الملوك الذين حكموا قبل الإسلام من ملوك الفرس والروم ومصر وبني إسرائيل وملوك الهند والصين والترك والسريان والنبط واليمن...الخ؛ بالإضافة إلى ذكر للملوك الذين حكموا بعد الإسلام على ترتيب القرون حتى أواخر القرن 16م. أضف إلى ذلك؛ بيان فرق المتغلبين من الشيعة والخوارج ومن ادعى النبوة وما شابه ذلك من الموضوعات.

الأصل الثاني؛ يضم قسمين: الأول يحتوي على ثلاثة فصول تتضمن معلومات جغرافية مهمة عن الأرض وأقاليمها وخصائص كل إقليم، إضافة إلى معلومات تتعلق بقبائل العرب وغيرهم من الشعوب والأمم.

الأصل الثالث؛ فجاء فيه حديث عن الشيعة، بالإضافة إلى معلومات عن التقويم التركي والعربي والرومي والقبطي وأسماء الشهور والأيام والفروق بين التواريخ ... إلخ.

أما **خاتمة** الكتاب، فقد أورد فيها **حاجي خليفة** أشراط الساعة وعلامات القيامة وذكر أشياء مما يتعلق بآخر الزمان.

وتجدر الإشارة إلى أنّ **حاجي خليفة** لم يحرص على تبييض مسودة "فذلكة أقوال الأخيار" لتقديمها للسلطان شعورا منه بأنّها عمل لم يكتمل بعد، وأن الاجل لم يمهله لإتمامها وفقا للخطة التي وضعها لها في المقدمة، وهكذا ترك المؤلف هذه المسودة المنقحة والوحيدة فيما ترك من تركته بعد وفاته. وتوجد المسودة اليوم في مكتبة بايزيد العمومية باستانبول تحت رقم 10318[29]، على أنّ أستاذ التاريخ والحضارة العثمانية بكلية الآداب بسوهاج قد حقق وقدم وترجم حواشي القسم الخاص بتاريخ ملوك آل عثمان[30].

2.2 محتويات تحفة الكبار في أسفار البحار

ألفه **حاجي خليفة** بسبب إخفاق الحملة العسكرية العثمانية على جزيرة كريت التي بدأت عام 1645م. وكان الهدف من تأليفه التذكير بالانتصارات البحرية العثمانية سابقا، وبيان أسباب إخفاق حملة كريت واقتراح التوصيات لتجاوزها، وتعزيز القوة البحرية العثمانية. وقد قسم الكتاب إلى جزئين، كل منهما مكون من عدة فصول[31]:

أما الجزء الأول فيتكون من مدخل يتضمن معلومات جغرافية تتعلق بالبحار والمحيطات، وتسعة أقسام خصصت للحديث عن الأساطيل العثمانية، والفتوحات التي قامت بها، ونماذج مختصرة عن المعارك التي وقعت منذ منتصف القرن 15م وبداية القرن 16م. إلى جانب الحروب العثمانية في البحر المتوسط خلال عصر خير الدين بربروس.، والحوادث التي وقعت في أثناء تولي خير الدين قيادة الأسطول العثماني، وغزوات قادة الأسطول العثماني بعد خير الدين. فضلا عن شرح أسباب الخروج لغزو جزيرة كريت.

أما الجزء الثاني فيحتوي على سبعة أقسام، جاء فيها التعريف بأهم قادة الأساطيل العثمانية حتى عصر المؤلف، التشكيلات البحرية ونظمها وقوانينها، غزوات الأسطول العثماني في البحر واللوائح المنظمة لذلك، اللوائح المنظمة لغزوات البحر، مالية الأسطول العثماني، غزاوت البحر ونصائح للبحارة.

وللإشارة فإنّ هناك العديد من النسخ المخطوطة سواء في مكتبات استانبول أو في مختلف مكتبات العالم، إلاّ أن طباعة إبراهيم متفرقة في وقت مبكر، وإضافته العديد من الخرائط إليها أكسبها شهرة منقطعة النظير. فقد أضاف متفرقة للكتاب عند طباعتها خريطة العالم آنذاك وخريطة للبحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، وخريطة للجزر الموجودة تحت حكم الدولة العثمانية في البحر المتوسط، وخريطة تبين جزر البحر الأدرياتيكي والممالك المطلة على سواحله، وخريطة تبين اتجاهات الرياح المعروفة في ذلك الزمان، وقد قام متفرقة بطباعة الكتاب في 24 ورقة في 1729م، حيث اعتبر هذا الكتاب الأثر الثاني الذي قامت أول مطبعة عثمانية بطباعته[32]. وقد أعيدت طباعة الكتاب في المطبعة البحرية في استانبول في 180 صفحة عام 1913م. ومن ناحية أخرى؛ فقد ترجمت الكتاب إلى عدّة لغات أوروبية أبرزها اللغة الإنجليزية[33].

3. خصائص الكتابة التاريخية عند حاجي خليفة من خلال "فذلكة التواريخ" و"تحفة الكبار"

1.3 التأكيد على أهمية علم التاريخ

برز اهتمام **حاجي خليفة** بالتاريخ أكثر في مؤلفه "فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار"، فمن العنوان فقد يلاحظ القارئ أنّه خصص لتبيان أهمية علم التاريخ. ويظهر ذلك بشكلٍ أوضح في الفصل الثاني من الكتاب، حيث أورد فيه تعريفا بعلم التاريخ لغة واصطلاحا، وموضوع التاريخ وأهميته. كما أورد اقتباسات من كتب التاريخ التي ألفت قبله، واتفق معها كلها في أن موضوع التاريخ هو تناول الشخصيات الماضية من أنبياء ورسل وحكام وأولياء وشعراء وغيرهم. وأوضح أن هدف هذا العلم هو الوقوف على أخبار السابقين، وأخذ عبرة منهم، واجتناب الاحداث التي أثبتت التجارب التاريخية أنّها ستضر أو ستؤدي إلى الضرر. ولكنه أوضح أن احسن تعبير صادفه عن تعريف علم التاريخ هو الذي ذكره جنابي في مقدمة كتابه، حيث قال " إن علم التاريخ يأتي على رأس كل العلوم وبه يمكن التعرف على كتاب الله، وقدرته ورحمته[34].

وقد بيّن **حاجي خليفة** أنّ ما دفعه للاهتمام بعلم التاريخ كان قد دفع من سبقه من عرب وعجم، وذلك لما يحويه هذا العلم من تجارب الأمم والأفراد، وأكدّ أن مطالعته لتراث السابقين وتأمله لما جاء فيه من وقائع الأولين قد زاد من رغبته في اقتفاء أثارهم والاقتباس من أنوارهم، فحاول المزج بينها والتأليف بين أشتاتها في فذلكة جامعة[35].

زيادة على ذلك؛ لما كان **حاجي خليفة** على دراية تامة بأمور الدولة العثمانية، والمشكلات التي اخذت تواجهها، والخلل في أداء مؤسساتها العسكرية والإدارية والقضائية والمالية، فإنّه شدّد على أهمية العلم والمعرفة في بناء المجتمع والدولة بما في ذلك علم التاريخ. حيث رأى أن الجهل وإهمال الدروس والعبر المستقاة من التاريخ السبب الرئيس للمشاكل السياسية والعسكرية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية وقتئذ[36].

وقد أكدّ **حاجي خليفة** على أنّه يجب على رجال الدولة، ومن هم في السلطة تتبع الأخبار التاريخية ومعرفة أخبار من قبلهم. من ناحية أخرى، رأى أنّ الأخطاء التي قام بها قادة الجيش في الحروب؛ إنّما سببها عدم تتبع ومعرفتهم بكتب التاريخ. وعندما كان يتحدث عن فاجعة عثمان الثاني، أوضح أنّ بعض المؤرخين اختصر تلك الحادثة، لأنّها تدعو للحزن، وكان حاجي خليفة ضد ذلك لأن وظيفة التاريخ عنده هي بيان وقوع الحادث، وبالتالي يلزم على الكاتب ألاّ يخل بالموضوع[37].

2.3 الاعتماد على المصادر التاريخية ونقدها

إنّ إجادة **حاجي خليفة** للغة العربية واللغة الفارسية الى جانب لغته التركية، مكنّه من الإطلاع على العديد من المصادر التاريخية وبالتالي الاستفادة منها وتوظيفها في مؤلفاته. فقد طالع ما يقرب 1300 كتاب تاريخ بالعربية والتركية والفارسية[38]. وعند التمعن في مؤلفيه "**فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار**" نلاحظ أنّ حاجي خليفة رجع إلى العديد من المصادر التاريخية عند سرده للأحداث. فمثلا عند حديثه عن وقائع بدء الخليقة وسير الأنبياء والممالك التي أسست قبل البعثة رجع إلى مصادر مثل: **أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن** الأثير الجوزي (ت 1232م) **وجامع الأصول لـ** صدر الدين محمد بن اسحاق القونوى (ت 1369م)، **وأخبار الدول وآثار الأول** لأبي العباس بن يوسف الدمشقي (ت 1610م) وغيرها[39].

أما فيما يتعلق بتعقبه لوقائع الدول التي قامت بعد البعثة فقد استعان بـ: **كتاب العبر في ديوان المبتدأ والخبر** لابن خلدون (1406م)، **وفيات الأعيان** لابن خلكان، **وتاريخ الذهبي** للحافظ شمس الدين الذهبي (ت 1345م) وغيره. أما فيما يخص تاريخ الدولة العثمانية فقد استفاد من **العيلم الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر** (باللغة العربية) لمصطفى جنابي (ت 1590م)، و**الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية** (باللغة العربية) لاحمد طاشكبرى زادة (ت 1561م). و**طبقات الممالك ودرجات المسالك** (باللغة التركية) لجلال زادة مصطفى جلبي (ت 1567م)، و**تواريخ آل عثمان** (باللغة التركية) لعاشق باشا زادة (ت 1484م)، و**تاج التواريخ** (باللغة التركية) لخواجة سعد الدين أفندي (ت 1599م) وغيرها[40].

أما فيما يخص كتاب "**تحفة الكبار في أسفار البحار**" فقد اعتمد فيه حاجي خليفة على كتاب **تاج التواريخ** لخواجة سعد الدين (ت 1599م)، **روضة الأبرار** لقره جلبي عبد العزيز (ت 1658م)، **تاريخ فتح خانية، مرآة الممالك، كتاب بحرية** لبيري ريس (ت 1555م)، **وغزوات خير الدين باشا** لسنان جاوش وغيرها[41].

والجدير بالملاحظة أنّ اعتماد حاجي خليفة للمصادر التاريخية كان ممنهجا، حيث كان يميّز بين غثها وثمينها، وينتقي دررها ثم ينظمها في كتاباته. فكما كان يختار أمهات المصادر عربية كانت أم عثمانية أم فارسية والتي تكون أقرب إلى الأحداث الواقعية ولها شأن كبير بين صفوف المؤرخين، كان في نفس الوقت لا يأخذ بكل ما جاء في تلك المصادر؛ بل كان يخضعها للنّقد التاريخي، إذ كان يقارن بين الروايات على اختلافها وتعددها في المصادر التي اطلع عليها ثم يحاول استخلاص الأرجح بينها التي ويعرضها في المتن. ولا يكتف بهذا القدر؛ بل يترك للقارئ فرصة البحث والتأكد من صحة الوقائع التاريخية التي ذكرها إلى جانب ما

ذكره غيره من المؤرخين السابقين من خلال إيراد رواياتهم في الحاشية بعد ذكر صاحبها. وبالنسبة للأخبار التي لم يكن يصل فيها إلى قناعة جازمة من إحدى المصادر فإنّه ينهي كلامه "بالله أعلم"[42].

ويمكن لنا من خلال تتبع طرق استخدام حاجي خليفة للمصادر التاريخية السابقة، أن نستشف بعض الخصائص ومميزات تلك المصادر التي يمكن إجمالها فيما يلي[43]:

- تصنف أغلب المؤلفات التاريخية العربية إلى أربعة أقسام: الأنساب والتراجم والطبقات والسيرة النبوية، وتقسم الكتابات التاريخية العثمانية بدورها إلى ثلاثة أقسام هي: كتب الغزوات والفتوحات، كتب السلاطين (المناقب)، كتب التاريخ العام.
- يغلب على بعض الكتابات التاريخية السابقة لحاجي خليفة البساطة في الأسلوب، مع استخدام الألفاظ العامية والأخطاء اللغوية والنحوية. بالإضافة إلى إيراد الحوادث مختصرة في بعض الأحيان، وإيراد تفاصيل كثيرة قد تشوش على القارئ وتصيبه الأمل وأحيانا أخرى.
- أن المؤلفات العثمانية انصبت بالدرجة الأولى على مناقب آل عثمان وفتوحاتهم، وتراجم بعض سلاطينهم وولاتهم وعلمائهم.
- جاءت معلومات هذه المؤلفات متشابهة إلى حد كبير، ويندر أن تخرج عن الإطار القصصي والعسكري، ومن هنا جاءت الموضوعات الاخرى عرضية ومتقطعة.
- غياب النقد التاريخي كان صفة مشتركة بين معظم المؤلفات التاريخية.

3.3 الاعتماد على منهج الحوليات ومنهج الموضوعات

يتضح من خلال كتاب" **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار**" أنّ حاجي خليفة اعتمد في هذا الكتاب على منهج الحوليات لاسيما في القسم الخاص بآل عثمان. حيث أرّخ لوقائع 17 أميرا وسلطانا عثمانيا، بدأهم بالغازي عثمان (ت 1326م)، وأنهاهم بالسلطان مراد الرابع (ت 1640م)، وبذلك يكون حاجي خليفة قد أرخ لفترة تربو عن 3 قرون من تاريخ الدولة العثمانية[44]. وقد انتهج المؤلف في كتابه ذكر اسم السلطان ولقبه الذي اشتهر به، ونسبته من السلاطين، وكيفية انفراده بالسلطة وتمكنه منها، وسنه عند اعتلائه العرش، وغير ذلك قبل ان يبدأ في سرد وقائع عصر كل سلطان. وبعد ايراده لتلك الوقائع، يذكر المؤلف ملابسات نزول كل سلطان عن العرش او اسباب وفاتهم، والإجراءات التي كان رجال الدولة يتخذونها

عند وقوع هذا الحدث الى يتم دفنه ،ثم يختم ذلك الدولة بذكر صفات السلطان وملكاته العقلية والادبية، وما اشتهر به، وما ترك من ابناء وما أقيم في عهده من ابنية الخير(45).

زيادة على ذلك؛ فإنّ **حاجي خليفة** قام بتذييل وقائع الدولة العثمانية بتراجم مختصرة لرجال الدولة وعلمائها من الوزراء العظام والوزراء وأمراء الأمراء ومشايخ الاسلام والقضاة ونقباء الأشراف ومعلمو السلاطين، مرتبا إياهم بحسب عصور السلاطين ووفقا لترتيب توليتهم لمناصبهم ووظائفهم في الدولة(46). فمثلا بدأ حاجي خليفة بتراجم من تولى منصب الصدارة العظمى من رجال الدولة تحت عنوان " وزراء دولتهم العلية ووكلاء سلطنتهم السنية"، فبعد أن يذكر اسم ولقب صاحب الترجمة واسم السلطان الذي استوزره، وتاريخ تنصيبه في الصدارة العظمى، يقوم بسرد تاريخه الوظيفي في الدولة حتى وصوله الى منصب الوزراة، وأهم الإنجازات التي حققها خلال فترة صدارته، وأخيرا يشير إلى عزله أو وفاته أو تقاعده، ثم يبين صفاته وملكاته في الأدب أو في التاريخ وأعمال الخير التي جرت على يديه(47).

لم يقتصر **حاجي خليفة** على منهج الحوليات الذي طبع جلّ الكتابات التاريخية العثمانية في القرون الأولى من تأسيس الدولة العثمانية؛ بل تعداه إلى المنهج الموضوعي ويظهر ذلك بشكل جلي في كتابه: "**تحفة الكبار في أسفار البحار**"، حيث رتبه على أساس الموضوعات كالمعارك الحربية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار خصوصا في البحر المتوسط، والموضوعات ذات العلاقة بتاريخ الجزائر العثمانية وغيرها من بلدان المغرب العربي في بداية القرن 16م، والتشكيلات البحرية العثمانية ونظمها وقوانينها، فكان بذلك أول المؤرخين العثمانيين الذي نهج هذا المنهج(48).

زيادة على ما سبق؛ قسم **حاجي خليفة** قسم الجزء الخاص بالسلاطين العثمانيين في "**فذلكة التواريخ**" إلى قسمين متوازيين متناسقين ومترابطين، هما المتن والحاشية. التزم في المتن مبدأ الإيجاز غير المخل، وحرص فيه على نظم ما أنفق عليه المؤرخون واطمأنت إليه نفسه، متتبعا الوقائع ومسلسلا الأحداث تسلسلا زمنيا خلال عصر كل سلطان، طارحا كل تفصيل ليس من ورائه طائل، حريصا على بيان ما التبس فيه أغلب المؤرخين، وهو في كل هذا لم يهمل الإشارة إلى واقعة صغيرة أو كبيرة قد يكون لها أثر في تاريخ الدولة، فكان سرده للأحداث في المتن سريعا متلاحقا، مترابطا وشاملا، بعيدا عن الإسهاب ومتجنبا الاستطراد حول أي حدث(49).

أما الحواشي فقد مثلت قيمة أخرى لوقائع ملوك آل عثمان، وذلك نظرا لما اضافته من إضافات على قدر عظيم من الأهمية. فقد استطاع المؤلف استخدام حواشيه أفضل استخدام، ففصل فيها ما أوجزه في المتن تفصيلا غير ممل، وعرض مواضع الخلاف بين روايات المؤرخين، وعرف ما قد يبدو مغلقا على القارئ، وطعّم ذلك كله بالعديد من النوادر والأشعار وأبيات التأريخ، بل والوثائق النادرة التي انتقاها من هنا وهناك، فأضاف بهذا كله روحا جديدة لوقائع التاريخ(50).

علاوة على ذلك؛ ابتعد **حاجي خليفة** في مؤلفيه عن كل صور البلاغة الادبية، فلم يعط للتشبيهات والاستعارات والصنعة اللفظية اهتماما يذكر، ولم يكن للألقاب والأوصاف والحوارات والاستطرادات وأية تفصيلات مكانا بين سطور المتن إلا ما ندر، وترك ذلك كله إن وجد ليأخذ موقعه في الحاشية. فجاء عرضه للوقائع في المتن سريعا متلاحقا مترابطا مع الحاشية إلى حد كبير(51).

4.3 تحليل الوقائع التاريخية ونقدها

فرض **حاجي خليفة** من خلال كتابيه " **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار** " و" **تحفة الكبار في أسفار البحار**" نوعا جديدا من الكتابة التاريخية يعتمد على ترتيب الوقائع بحسب الأقاليم أو الدول، ثم يقوم بالبحث عن مبرراتها وتفسيراتها. ولعلّ ذلك راجع إلى تأثره بمنهج ابن خلدون القائم على تفسير انتقال الدول من حال إلى حالة أخرى. فقد أوضح أنّ الأمور كانت منتظمة ومستقرة منذ عهد السلطان عثمان الأول إلى غاية عهد السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني، لأنّ الجميع كان يسير على الطريق القويم. إلا أنه بعد ان حادوا عن هذا الطريق، كان النتيجة أن ساءت الأمور. فبمجرد أن دب في أوصال الدولة العثمانية الفساد المالي والخزينة والجيش، وأهمل السلاطين العثمانيون اتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء على تلك المفاسد، ضعف العثمانيون داخليا وخارجيا، وأصبحوا فريسة سهلة للعدو الأوروبي(52).

فالمتتبع لكتاب "**فذلكة التواريخ**" نلاحظ أنّ **حاجي خليفة** عالج الأحداث التي وقعت في عهد السلاطين العثمانيين على أساس المراحل التي مرت بها الدولة العثمانية؛ حيث أورد وقائع **المرحلة التأسيسية للدولة العثمانية** وذلك بتركيزه على الفترة الممتدة ما بين (1299_ 1421م)، أي من بداية حكم السلطان عثمان الأول إلى غاية حكم السلطان محمد جلبي، موضحا فيها عوامل نمو الدولة العثمانية والركائز التي قامت عليها خلال تلك المرحلة(53). علاوة على ذلك؛ عالج قضايا **مرحلة التقدم والازدهار** التي مرت بها الدولة العثمانية

ابتداء من عهد مراد الثاني (1421_ 1451م) حتى نهاية عصر السلطان سليمان القانوني (1566م)، بدقة كبيرة، ذلك لأنّ هذه الحقبة الزمنية تميزت بتقدم كبير على مستوى النظم والمؤسسات الإدارية والمالية والقضائية والعسكرية وحتى الفكرية[54].

أورد **حاجي خليفة** _إضافة إلى ما سبق _ وقائع سلاطين آل عثمان في تلك المرحلة الانتقالية التي وقفت فيها الدولة بين مظاهر القوة وعوامل الضعف التي بدأت تسري في أوصالها، والتي تشمل هذه الوقائع عهد السلطان سليم الثاني (1566_ 1574م) حتى نهاية عصر مراد الرابع (1640م)[55].

زيادة على ما سبق؛ اجتهد **حاجي خليفة** عند معالجته لوقائع تأسيس الدولة حتى أوائل عصر محمد الفاتح وصياغته، في تتبع تلك الوقائع ومحاولة الوصول إلى الرواية الصحيحة قدر إمكانه، وعدم الخوض فيما وقع بين المؤرخين من اختلاف. ولكنه اضطر أحيانا لنقل روايات التواريخ الأخرى وما وقع فيها من اختلاف في ترتيب الأحداث في الحاشية، ولكن بشكل مختصر أيضا. وهكذا حرص حاجي خليفة على التحقق من كافة الوقائع التي وردت خلال هذه الفترة التي تعج بالأساطير من خلال التواريخ المعاصرة، فكان يعقد المقارنة بينها ليصل الى اتفاق بين المؤرخين[56].

من زاوية أخرى؛ أورد **حاجي خليفة** أنّه ألّف كتاب "**تحفة الكبار في أسفار البحار**" لينقذنا من تلك الأخطاء، وتكون لنا عبرة، الأمر الذي جعله يورد بعد كل حملة من الحملات، وخاصة حملة كريت عظة ووصية لعدم الوقوع في مثل هذا الخطأ وتفاديه، والحيلولة دون الوقوع فيه. حيث أكد على أن الصمود في مواجهة الأعداء وتجاوز حالة الانهيار المالي والفساد الإداري، كان يحتاج إلى اتخاذ الأستانة قرارات وتدابير جريئة، ولكن قصور التدابير التي اتخذت وحالة الإهمال العامة، كانت من أسباب تفاقم الأوضاع في البلاد[57].

زيادة على ذلك؛ هاجم **حاجي خليفة** الإدارة العثمانية لتمسكها بالنظم والقوانين التي وضعت في عصري السلطان سليم الاول (1512_ 1520م) وسليمان القانوني (1520_ 1566م)، حيث دعا إلى التحرر من تلك القوانين والمناهج التي ينبغي أن تستجيب للتطورات الجارية في العالم، وقد ذيّل رسالته هذه بجمع 40 نصيحة في القسم السابع[58].

وعلى العموم؛ كانت صفة الانتقاد لكل شيء هي أهم ما يميز شخصية **حاجي خليفة** على الإطلاق، حيث انتقد أفكار بعض أساتذته وتصرفات زملائه في قلم الديوان، بل وسياسات الدولة أيضا. ولم تسلم رؤى العلماء المعاصرين وآثار السابقين من تعليقاته النقدية اللاذعة. وعلى الرغم من قسوة هذه الانتقادات في أحيان كثيرة، إلا أنها كانت بناءة[59].

الخاتمة

يعد **حاجي خليفة** نموذجا للمؤرخ العثماني الذي جمع بين صفتين نادرا ما تجتمع في غيره من المؤرخين وهما كونه أحد موظفين الدولة العارفين بخباياها، وكونه رجل علم وثقافة موسوعية متنوعة مكنته من الإمساك بزمام البحث التاريخي. وقد عكست مؤلفاته التاريخية تلك الميزة، خاصة مؤلفيه "**فذلكة الأخيار في علم التاريخ والاخبار**" و"**تحفة الكبار في أسفار البحار**".

زيادة على ذلك؛ فإنّ هذين المؤلفين من أهم المصادر التي أرّخت للتاريخ العثماني باللغة العربية والتركية خلال القرن 17م سواء ما تعلق بالسلاطين العثمانيين وسياساتهم الداخلية والخارجية، أو ما تعلّق بالبحرية العثمانية ونشاطها في البحر الأبيض المتوسط.

ولا تكمن أهمية "**فذلكة الأخيار**" و"**تحفة الكبار**" في الجانب المعرفي والمعلوماتي هذا فحسب؛ بل تميّز كلاهما بسلاسة الأسلوب ووضوح المنهج. وما يزيد من أهميتهما هو أنّ **حاجي خليفة** جمع فيهما بين التاريخ والجغرافيا والفكر الإصلاحي، كما أنّه تبنى فيهما المنهج الخلدوني في تفسير التاريخ. الامر الذي جعل **حاجي** مؤرخا فريدا في تحليله للأحداث التاريخية، ومتفردا في الكتابة التاريخية العثمانية القائمة على الجمع بين السرد والتحليل واستشراف آفاق المستقبل المنظور.

الهوامش

(1) حاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، إشراف وتقديم: اكمال الدين إحسان أوغلي، م 03 ، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، استانبول 2010م، ص 447.

(2) محمد صاحبي، "**الضبط البيبليوغرافي للتراث العلمي العربي المخطوط خلال العصر العثماني**"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع 07، القاهرة 2006م، ص 42_ 63.

(3) حاجي خليفة، **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار " فذلكة التواريخ" تاريخ ملوك آل عثمان**، حقق وقدم له وترجم حواشيه: سيد محمد السيد، جامعة جنوب الوادي كلية الآداب سوهاج، مصر، د. ت، ص 25.

(4) المصدر نفسه، ص 28.

(5)محمد دراج، "**قراءة منهجية لكتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13، جامعة الجزائر 02، الجزائر 2011م، ص 241_ 256.

(6) المرجع نفسه، ص 242.

(7) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، م 01، تصحيح: محمد شرف الدين ورفعة بيلك الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 15.

(8) حاجي خليفة، **فذلكة** ...، مصدر سابق، ص 18.

(9) نفسه، ص 18_ 19.

(10) الغالي غربي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288– 1916م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007م، ص 201.

(11) روبير مانتران وآخرون، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: بشير السباعي، ج 02، ط 1، دار الفكر، القاهرة 1992م، ص 343– 402.

(12) محمد سهيل طقوش، **العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة 1299– 1924م**، دار بيروت المحروسة، بيروت 1995م، ص 243.

(13) دونالد كوارترت، **الدولة العثمانية 1700– 1922م**، تعريب: أيمن الأزمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض 2004م، ص 99– 100.

(14) مروان محمد عمر، "**قوة الدولة العثمانية وضعفها**"، المجلة العلمية لكلية التربية، ع 8، السنة الثالثة، جامعة مصراتة 2017م، ص 315- 344.

(15) عماد عبد العزيز يوسف، "**تمردات الإنكشارية في الدولة العثمانية 1481– 1648م**"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 9، ع 04، الموصل، 298- 311.

(16) أحمد عبد الله نجم، "**فرقة الإنكشارية في الدولة العثمانية دراسة من خلال مفهوم الجماعات الوظيفية**"، مجلة حوليات آداب عين شمس، مج 41، مصر 2012م، ص 164- 220.

(17) محمد البحراوي، "**حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني**"، مراجعة: محمد غشام، مجلة الإجتهاد، ع 45 و46، بيروت 2000م، ص 412- 413.

(18) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 249- 281.

(19) للتوسع أنظر: إبراهيم صائغ، **العلاقات العثمانية النمساوية 1219– 1287هـ/ 1804– 1868م دراسة تاريخية حضارية**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 2015م، ص 33- 37.

(20) للتوسع أنظر: منصور بن معاضة بن سعد العمري، **الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من (1121– 1220هـ/ 1709– 1805م) (دراسة تحليلية نقدية)**، بحث تكميلي للحصول على درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 2010م، ص 182- 204.

(21) **المسألة الشرقية**: هي اصطلاح سياسي أطلقته الدول الإستعمارية الأوروبية على الصراع القائم فيما بينها من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى، حول اقتسام ممتلكات تلك الدولة التي أصبحت ضعيفة لاتقوى عن الدفاع عن ممتلكاتها وبخاصة في أوروبا الشرقية. للتوسع أنظر: سامي صالح الصياد، " **قراءة في عوامل ضعف الدولة العثمانية وظهور المسألة الشرقية وتبلورها**"، جزئين، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 12، ع 02، العراق 2005م، ص 195- 200.

(22) من بين أولئك المؤرخين: **قوجي بك** (ت 1650م) الذي ألّف رسالة جاء فيها تحليلا دقيقا للمساوئ التي تشكو منها الدولة العثمانية وللإصلاحات الممكنة، **ومصطفى علي** (1541_ 1600م) الذي ألّف "كنه الأخبار" وهو تاريخ عالمي حتى عهد محمد الثاني، استند فيه جزئيا الى مصادر نادرة، كما أنه ألفّ كتاب "ارشادات للولاة" حيث يسجل تأملاته في أسباب انحطاط السلالات الحاكمة، **وحسين هزارفن** (1679م) الذي ألّف "تلخيص البيان في قوانين آل عثمان"، وهو أحد أهم الكتب حول تنظيم الدولة العثمانية، دون أن ننسى **حاجي خليفة** الذي نهج نفس المنهج بدءا من تأليفه "لفذلكة التواريخ" و"تحفة الكبار في أسفار البحار" إلى غاية تأليفه "دستور العمل في إصلاح الخلل".

(23) روبير مانتران وآخرون، مرجع سابق، ص 453.

(24) حاجي خليفة، **فذلكة**...، مصدر سابق، ص 48_ 60.

(25) نفسه، ص 50_ 54.

(26) خالد زيادة، **اكتشاف التقدم الأوروبي دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر**، ط 1، بيروت 1981م، ص 27_ 28.

(27) حاجي خليفة، **فذلكة** ...، مصدر سابق، ص 66.

(28) نفسه، ص 67_ 70.

(29) حاجي خليفة، **فذلكة** ...، مصدر سابق، ص 79_ 80.

(30) تم الاعتماد في هذه الدراسة على الكتاب المحقق، لأنّه لم يتوفر لنا نسخة الفذلكة الموجودة باسطنبول.

(31) حاجي خليفة، **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تحقيق وترجمة: محمد حرب وتسنيم حرب، ط 1، دار البشير للثقافة والعلوم، د. ب، 2017م، ص 51_ 254.

(32) حاجي خليفة، **فذلكة**...، مصدر سابق، ص 57_ 58.

(33) محمد دراج، مرجع سابق، 241.

(34) حاجي خليفة، **تحفة**... مصدر سابق، ص 23.

(35) حاجي خليفة، **فذلكة** ...، مصدر سابق، ص 65.

(36) نفسه، ص 38.

(37) حاجي خليفة، **تحفة** ...، مصدر سابق، ص 23.

(38) حاجي خليفة، **كشف** ...، مصدر سابق، ص 15.

(39) حاجي خليفة، **فذلكة** ...، مصدر سابق، ص 78.

(40) نفسه، ص 91_ 106.

(41) حاجي خليفة، **تحفة**...، مصدر سابق، ص 28.

(42) حاجي خليفة، **فذلكة**...، مصدر سابق، ص 78.

(43) رابعة مزهر شاكر و محمد عبد القادر خريسات ، "**الكتابة التاريخية عند العثمانيين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 41، ع 01، الأردن، 2014م، ص 70- 79.

(44) حاجي خليفة، **فذلكة**...، مصدر سابق، ص 133_ 368.

(45) نفسه، ص 82.

(46) نفسه، ص 379_ 471.

(47) حاجي خليفة، **فذلكة** ...، مصدر سابق، ص 88.

(48) محمد دراج، مرجع سابق، ص 251.

(49) حاجي خليفة، فذلكة...، مصدر سابق، ص 106.

(50) نفسه، ص 106_ 107.

(51) نفسه، ص 114.

(52) حاجي خليفة، **تحفة** ...، مصدر سابق، ص 29.

(53) حاجي خليفة، **فذلكة**...، ص 82_ 84.

(54) نفسه، ص 84_ 86.

(55) نفسه، ص 86_ 87.

(56) نفسه، ص 112.

(57) أنظر نماذج من العبر التي كان يوردها حاجي خليفة، حاجي خليفة، **تحفة** ...، مصدر سابق، ص 118، 147، 153، 157، 159، 163، 174، 177، 178، 181، 184، 202، 203، 216.

(58) أنظر: نفسه، ص 248_ 253.

(59) حاجي خليفة، **فذلكة** ...، مصدر سابق، ص 39.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إينالجيك خليل، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار**، ترجمة: محمد الأرناؤوط، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت 2002م.
2. البحراوي محمد، "**حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني**"، مراجعة: محمد غشام، مجلة الإجتهاد، ع 45 و46، بيروت 2000م.
3. خليفة حاجي، **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار " فذلكة التواريخ" تاريخ ملوك آل عثمان**، حقق وقدم له وترجم حواشيه: سيد محمد السيد، جامعة جنوب الوادي كلية الآداب سوهاج، مصر، د. ت.
4. خليفة حاجي، **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تحقيق وترجمة: محمد حرب وتسنيم حرب، ط 1، دار البشير للثقافة والعلوم، د. ب، 2017م.
5. خليفة حاجي، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، إشراف وتقديم: اكمال الدين إحسان أوغلي، م 03، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، استانبول 2010م.
6. خليفة حاجي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، م 01، تصحيح: محمد شرف الدين ورفعة بيلك الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
7. دراج محمد، "**قراءة منهجية لكتاب" تحفة الكبار في أسفار البحار" لكاتب جلبي**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 13، جامعة الجزائر 02، الجزائر 2011م.
8. زيادة خالد، **اكتشاف التقدم الأوروبي دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر**، ط 1، بيروت 1981م.
9. شدهان خالد سلمان، **رسائل الاصلاح وأثرها في إصلاح الأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية**، مذكرة ماجستير، جامعة تكريت، العراق 2009م.
10. صائغ إبراهيم، **العلاقات العثمانية النمساوية 1219– 1287هـ/ 1804– 1868م دراسة تاريخية حضارية**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 2015م.
11. صاحبي محمد، "**الضبط البيبليوغرافي للتراث العلمي العربي المخطوط خلال العصر العثماني**"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع 07، القاهرة 2006م.

12. الصياد سامي صالح، " **قراءة في عوامل ضعف الدولة العثمانية وظهور المسألة الشرقية وتبلورها**"، جزئين، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 12، ع 02، العراق 2005م.
13. طقوش محمد سهيل، **العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة 1299– 1924م**، دار بيروت المحروسة، بيروت 1995م.
14. العزاوي قيس جواد، **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**، ط 2، الدار العربية للعلوم، بيروت 2003م.
15. عمر مروان محمد، "**قوة الدولة العثمانية وضعفها**"، المجلة العلمية لكلية التربية، ع 8، السنة الثالثة، جامعة مصراتة 2017م.
16. العمري منصور بن معاضة بن سعد، **الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من (1121– 1220هـ/ 1709– 1805م) (دراسة تحليلية نقدية)**، بحث تكميلي للحصول على درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 2010م.
17. غربي الغالي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288– 1916م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007م.
18. كوارترت دونالد، **الدولة العثمانية 1700– 1922م**، تعريب: أيمن الأزمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض 2004م.
19. مانتران روبير وآخرون، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: بشير السباعي، ج 02، ط 1، دار الفكر، القاهرة 1992م.
20. مزهر شاكر رابعة وخريسات محمد عبد القادر، "**الكتابة التاريخية عند العثمانيين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 41، ع 01، الأردن، 2014م.
21. نجم أحمد عبد الله، "**فرقة الإنكشارية في الدولة العثمانية دراسة من خلال مفهوم الجماعات الوظيفية**"، مجلة حوليات آداب عين شمس، مج 41، مصر 2012م.
22. يوسف عماد عبد العزيز، "**تمردات الإنكشارية في الدولة العثمانية 1481– 1648م**"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج 9، ع 04، الموصل.